بتاريخ 22 جمادى الاول 1445
الاوامر

الجلسة 35

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

مُحادثةٌ حول اندماج الصفات الذاتية مع الذات الإلهية

لقد سجّلنا في ثنايا الأبحاث المسبقة أن الصفاتِ الإلهيةَ مندمجةٌ مع الذات الإلهيّ لأنه تعالى بسيطُ الحقيقة فلأجل محضانيّته يُعدّ تعالى كلَ الأشياء و الموجودات.

ثم إن هذه النِقاط بأسرِها تُعدّ من الغوامض الإلهية لا يَستوعِبُه عقلُ كل فرد، إذ يَشُقّ على العقل أن يُدركَ بساطة الموجود الذي لا شائبة فيه و لا تركيب بحيث تستدعي هي البساطةُ الإلهية أن يُحسَبَ وجودُ الله تعالى كلَ الوجودات و الموجودات لأنه تعالى هو عين الوجود الكامل و إليه يَئول كلُ الكمال.

و على ضوئه قد ورد ضمن دعاء السحر: اللهم إني اسئلكم من بهائک بأبهاهُ و كلُ بهائکَ بَهيٌّ، اللهم إنى اسئلک من جمالک بأجمله و كلُ جمالک جميل.... ولولا الإمعانُ في معنى البساطة و الصرفيّة الإلهيّة لما أدركنا مَغزى هذه المأثورات العاليةِ المضامين لأنها قد لاحظت عينَ وجودِه و كماله المستجمِع لكل الصفات الراقية ثم عبّرت بهذه التعابير الرائعة.

أما مُصطلَحُ "الوجود المطلق" فقد أطلقه الحُكماء لكي يُبرّئوا اللهَ تعالى عن شوائبِ العدم و النقصان لأنهم قد افترضوا أنه تعالى يَكتَنفُ تمام الوجودات، و لهذا قد ورد في حقّه تعالى: هو الله الذي لا إله إلا هو، فهو تمام الوجود المتكامِل.

و كما ترى، إن هذه التعابير الطريفة هي قمّةُ طاقةِ الألفاظ القاصرة عن تبيين كُنهِ ذاته المُتعال.

و سيراً في هذا المسار سنَستَعرِضُ تصريحاتِ الأسفار ضمن العنوان التالي:

مقالةُ ملاصدرا حول الصفات الإلهية

إن العرفاء قد اصطلحوا في إطلاق الوجود المطلق ـ و الوجود المقيد على غير ما اشتهر بين أهل النظر فإن الوجود المطلق عند العرفاء عبارةٌ عما لا يكون محصورا في أمر معين محدوداً بحدّ خاص، و الوجود المقيد بخلافه كالإنسان و الفلك و النفس و العقل و ذلك الوجود المطلق هو كل الأشياء على وجهٍ أبسطَ، و ذلك لأنه فاعلُ كلِ وجودٍ مقيد و كمالُه و مبدأُ كل فضيلة أولى بتلك الفضيلة من ذي المبدإ فمبدأ كل الأشياء و فياضها يجب أن يكون هو كل الأشياء على وجه أرفع و أعلى فكما أن السواد الشديد يوجد فيه جميع الحدود الضعيفة السوادية ـ التي مراتبها دون مرتبة ذلك الشديد على وجه أبسط و كذا المقدار العظيم يوجد فيه كل المقادير التي دونه من حيث حقيقة مقداريتها لا من حيث تعيناتها العدمية من النهايات و الأطراف فالخط الواحد الذي هو عشرة أذرع مثلا يشمل الذراع من الخط و الذراعين منه و تسعة أذرع منه على وجه الجمعية الاتصالية و إن لم يشتمل على أطرافها العدمية التي يكون لها عند الانفصال عن ذلك الوجود الجمعي و تلك الأطراف العدمية ليست داخلة في الحقيقة الخطية التي هي طول مطلق حتى لو فرض وجود خط غير متناه لكان أولى و أليق بأن يكون خطا من هذه الخطوط المحدودة ـ و إنما هي داخلة في ماهية هذه المحدودات الناقصة لا من جهة حقيقتها الخطية ـ بل من جهة ما لحقها من النقائص و القصورات و كذا الحال في السواد الشديد ـ و اشتماله على السوادات التي هي دونه و في الحرارة الشديدة و اشتمالها على الحرارات الضعيفة فهكذا حال

أصل الوجود و قياس إحاطة الوجود الجمعي الواجبي الذي لا أتم منه بالوجودات المقيدة المحدودة بحدود يدخل فيها أعدام و نقائص خارجة عن حقيقة الوجود المطلق داخلة في الوجود المقيد و إليه الإشارة في الكتاب الإلهي – أولم يرَ الذين كفروا[1] أَنَّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا وجعلنا من الماء كل شيئ حيّ، أفلا يؤمنون– و الرتق إشارة إلى وحدة حقيقة الوجود الواحد البسيط (حيث كانت السماوات مندمِجةً و مسدودةً) و الفتق تفصيلُها (و فتحُها) سماءً و أرضاً و عقلاً و نفساً و فلكاً و ملَكاً (فإنّ كل هذه الأشياء كانت راسخةً في وجود الله ثم فكّكها تعالى عن بعضها البعض و منحها وجوداً) و قوله تعالى: وَ جَعَلْنٰا مِنَ اَلْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ. و هل الماء الحقيقي إلا (معنى) رحمتَه التي وسِعت كل شيء و فيضَ جوده المارّ على كل موجود (أي قد خلَقَنا من رحمته الواسعة و من وجوده الفيّاض فحسب) و كما أن الوجود حقيقةٌ واحدة سارية في جميع الموجودات على التفاوت و التشكيك بالكمال و النقص (فكل الموجودات الكماليةِ نابعةٌ عن وجود الله تعالى فليست الموجودات الناقصة هي عين الله لأنه تعالى كمالٌ مطلق و لهذا قد أثبتنا أن الله عديمُ الماهية تماماً فلا حدّ له، و معنى سرايتِه هو أن الشيئَ المتواجِد كقطرةٍ ضمن الوجود الحقيقيّ البسيط الإلهيّ) فكذا صفاته الحقيقية التي هي العلم و القدرة و الإرادة و الحياة سارية في الكل سريانَ الوجود على وجه يعلمه الراسخون فجميع الموجودات حتى الجمادات حية عالمة ناطقة بالتسبيح شاهدة لوجود ربها عارفة بخالقها و مبدعها كما مر تحقيقه في أوائل السفر الأول و إليه الإشارة بقوله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ لأن هذا الفقه و هو العلم بالعلم لا يمكن حصوله إلا للمجرّدين عن غواشي الجسمية و الوضع و المكان.[2]

و تتميماً لهذه المقالة نقول: بأن تعابير الأسفار رغم أنها لم ترِد بعينِها ضمن الروايات إلا أنها مُصطادةٌ من بيانات العترة الطاهرة حيث إنهم عليهم السلام قد أشاروا إلى ألطاف حقيقته تعالى، فبالتالي إن هذه العبارات تُعدّ إشاراتٍ إلى حقيقته تعالى.

و أما ظاهر الآية: و جعلنا من الماء كل شيئ حيّ. فالقدر المتيقّن هو الماء الظاهري المحسوس و السماواتُ التي فوق رُؤوسِنا حيث قد ورد أنها لم تمطُر ثم شاء الله أن تمطُر فمطرت، إلا أن الأسفار يودّ التوصّل إلى نكتةٍ خاصة، تفوق الظاهرَ المحسوس و هي أن الآيةَ تستبطن أعمقَ البواطنِ نظير الآية: ن و القلمِ و ما يسطرون. حيث قد فسروها بقلم التشريع لا القلم الظاهريّ لأنه لا يتلائم مع شأنية الباري تعالى و منزلة القرآن الكريم، فكذلك آيةُ الرتق و الفتق حيث قد أشارت إلى اتحاد وجود العالم مع وجود الباري تعالى اتحاداً رتقاً ثم فكّك وجودَها انفكاكاً فتقاً، ولهذا قد ورد: كان الله و لم يكن معه شيئٌ. فلم يقل: لم يكن في ذاته شيئٌ. فهذه المعيّةُ تعني أنه لم يتواجد أيُّ شيئ حتى الزمن فكانت رَتقاً ثم فتقَها و أوجدها بكشف الستار عنها، فبالتالي قد تولدت عن الوجود المطلق.

و أما السبب الذي استدعانا أن نفسّر السماواتِ بالعالم مع ما احتَواه من المجردات و الماديات فلأجل أن تعبير الآية يُعدّ كنائيّاً قاصداً المظاهرَ الأساسيةَ في العالم من المادّة و المجرّد، فإنه تعالى قد شاء إبداعَ كلِ شيئ و إيجاده و لكنّ الوجود كان رتقاً منسدّاً ثم فتحه و فتقَه ثم تحققت سائر الموجودات من هذا الوجود المطلق الإلهيّ.

---

[1] فإن الله يلومهم بأنهم كيف لم يعلموا و لم يتدبروا

[2] الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، قم ـ ايران، مكتبة المصطفوي، جلد: ۶، صفحه: ۱۱۷